مجلة دراسات تاريخية ISSN : 2352-9741
المجلد :08 العدد : 01 السنة : 2020 / ص ص 06- 32

العدوان الصليبي على بلاد الشام وموقف الفاطميين منه خلال القرنين (5-6هـ/11-12م)

-دراسة نقدية في مسببات العدوان ومآلات الوضع-

Crusader aggression on the Levant and the position of the Fatimids on it during the two centuries (05-06 ah/11-12 ad)

- A study on the causes of the aggression and the prospects for the situation -

أ/ بغداد سحيري *

جامعة يحي فارس – المدية (الجزائر) .sahiribakdad@gmail.com

تاريخ الارسال : 2019/09/02 تاريخ القبول : 2019/12/13 تاريخ النشر :2020/05/19 المؤلف المرسل : أ/ بغداد سحيري

ملخص البحث:

تعرضت بلاد الشام نهاية القرن 05هـ/11م لعدوان عسكري شنته مجموعات عسكرية قدمت من أوربا، وقد عرف ذلك عند المؤرخين بالحروب الصليبية، وانتهى هذا العدوان بسقوط أغلب المدن الشامية الساحلية، وكان الفاطميون طرفا في هذا العدوان منذ بدايته، حيث ساعدوا الصليبيين في السيطرة على بلاد الشام، معتقدين أنهم جاؤوا للسيطرة على شمال الشام فقط، لكنهم تفاجأوا بزحف الصليبيين جنوباصوب بيت المقدس التابعة لهم، فتغيرت نظرتهم ووجدوا أنفسهم في مواجهة عسكرية محتومة معهم، فاندلعت الحرب بينهما.

وفي هذا المقال نحاول أن نشير إلى مبدأ الحروب الصليبية وأسباب اختيارها لبلاد الشام، ثم نعرج عنالموقف الفاطمي منها منذ البداية، وهدفنا في ذلك إماطة اللثام عن عديد الحقائق التاريخية التي صاحبت هذا العدوان والموقف الفاطمي الذي قيل في شأنه الكثير، وقد توصلنا في آخر الدراسة إلى أن سبب الوجود الصليبي ببلاد الشام هو سبب استعماري بالدرجة الأولى، وأن موقف الفاطميين منه كان متواطئا في بدايته لكنه صار عدائيا بعد أن تضررت مصالحهم.

الكلمات المفتاحية:

العدوان الصليبي- بلاد الشام- موقف -الفاطميين – السلاجقة.

* المؤلف المرسل

Abstract :

Levant was exposed at the end of the century 05AH / 11AD to military aggression launched by military groups that came from Europe, and this was known to historians of the Crusades, and this aggression ended with the fall of most coastal Levantine cities, and the Fatimids were a party to this aggression from its beginning, where they helped the Crusaders in controlling the country Al-Sham, thinking that they came to control the north of the Levant only, but they were surprised when the Crusaders marched south towards their Jerusalem, so their perception changedand they found themselves in an inevitable military confrontation with them, and war broke out between them.

In this article, we try to refer to the principle of the Crusades and the reasons for choosing them in the Levant, then we reveal the Fatimid position from it from the beginning, and our aim was to unveil many historical facts that accompanied this aggression and the Fatimid position that was said about a lot, and we reached at the end of the study Until the reason for the Crusader presence in the Levant was primarily a colonial cause, and that the position of the Fatimids on him was complicit in its beginning, but it became hostile after their interests were damaged.

مقدمة:

في إطار الصراع الذي كان سائدا بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، شنت الدول الأوربية سلسلة من الحروب بداية من القرن 05هـ/11م، للسيطرة على البلاد الإسلامية، واتخذوا استرجاع بيت المقدس من المسلمين ذريعة لحروبهم، وقد عرفت هذه الحروب عند المؤرخين بالحروب الصليبية، واختلفوا في أسبابها بين من يرى بأنها اجتماعية، حيث كان الفقر سائدا بين أغلب الطبقات الاجتماعية، وكان من الطبيعي أنتلبي هذه الفئة أي نداء ترى فيه متنفسا لها من حالتها ، وهو ما ظهر جليا عندما أعلنت الحرب، حيث كانت هذه الطبقة في مقدمة الجيش.

وهناك من يرى بأن أسباب هذه الحرب هي دينية بحتة، حيث عمل البابا أوربان الثاني [1] على إثارة الحمية بين أفراد المجتمع الأوربي، بأن أعلن تكفيره لذنوب جميع المشاركين في هذه الحرب وإعفائهم من التكاليف المدنية، وتضاف إلى هذه الأسباب أسباب أخرى نعرض عن ذكرها تجنبا للإطالة.

توجهت الجيوش الصليبية إلى بلاد الشام للسيطرة عليها، وكان في مواجهتهم من الجانب الإسلامي قوتان هما السلاجقة الذين كانوا مسيطرين على أغلب بلاد الشام، والفاطميون الذين فرضوا أنفسهم على الساحة آنذاك لأنهم كانوا بعيدين جغرافيا عن الصليبيين مقارنة بالسلاجقة.

وفي هذا المقال المعنون ب العدوان الصليبي على بلاد الشام وموقف الفاطميين منه خلال القرنين (05-06هـ/11-12م)، نحاول أن نسلط الضوء على حيثيات العدوان الصليبي على بلاد الشام،مع الكشف

عن مدى حضور الفاطميين فيه، لنجيب عن الإشكالية التالية:

- ماهي خلفيات العدوان الصليبي على بلاد الشام وما موقف الفاطميين منه ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاث عناصر رئيسية جعلنا العنصر الأول خاصا ببداية الحروب الصليبية، إذ تكلمنا فيه عن مسير الحملات الصليبية من أوربا إلى غاية بلاد الشام، أما العنصر الثاني فجعلناه لأهم النتائج الأولية المترتبة عن هذه الحروب، بينما تكلمنا في العنصر الثالث عن موقف الفاطميين من هذه الحروب على كافة الأصعدة، وختمنا في الأخير بخاتمة هي عبارة عن استنتاجات عامة تخص الموضوع.

1. بداية الحملات الصليبية

ما إن أعلن البابا أوربان الثاني في كليرمونت (Clermont- ferrand) في 27 نوفمبر (1095م/488هـ)[2] عن ميلاد الحركة الصليبية حتى بدأت استعدادات التنفيذ [3]، والتي تولاها دعاته ، غير أنهم سمحوا لكل من حمل الصليب بالتوجه إلى الأراضي المقدسة[4]، وكان أغلبهم من فرنسا وإيطاليا وألمانيا [5]، وخرجوا في مجموعات غير منظمة فأثاروا الفوضى في طريقهم، غير أنهم تعرضوا لنكسة انتهت بمقتل أغلبهم إذ لم ينج من أصل عشرين ألفا سوى ثلاثة آلاف[6].

ثم تلت هذه الحملة حملة أخرى كانت أثر دقة وتنظيما سميت بالحملة النظامية قوامها الأمراء الإقطاعيون[7] وتشكلت من أربعة جيوش إذ تولى بوهيمند وابن أخته تانكرد قيادة القوات النورماندية، أما القوات البروفنسالية فكانت تحت قيادة ريموند الرابع كونت تولوز، والقوات الفرنسية تحت قيادة إتيين كونت بلوا، وهيو كونت فرماندو الابن الأصغر لهنري الأول ملك فرنسا وروبرت الثاني كونت فلاندر، أما جودفري دي بوايون دوق اللورين، وأخوه بلدوين فقد قادا قوات اللورين السفلى [8]، وسلكت كل هذه الجيوش طرقا مختلفة على أن اللقاء كان متفقا عليه عند أسوار القسطنطينية[9].

2. النتائج الأولية للحملة الصليبية الأولى

خلفت الحملة الصليبية الأولى نتائج كارثية على العالم الإسلامي، إذ سقطت أغلب مدنه بسهولة، بسبب الضعف والفرقة التي كانت تعاني منها أغلب الدول الإسلامية، ومن المدن التي سقطت بأيدي الصليبيين نذكر:

1.2. احتلال بلاد الأناضول

كانت بلاد الأناضول تحت سلطان السلاجقة لما داهمتها جموع الصليبيين، ولم يستطع حكامها أن يصمدوا بقواتهم المحدودة أمام الحصار الذي فرضه عليهم الصليبيون، فسقطت أغلب مدنهم، وكانت أبرزها نيقية[10] التي سقطت سنة (490هـ/1097م)، ثم الرها [11] سنة (491هـ/1098م) وأسسوا بها أول إمارة صليبية في البلاد الإسلامية [12]، ثم سار الصليبيون جنوبا باتجاه أنطاكية وضربوا عليها حصارا [13] دام أكثر من تسعة أشهر، ثم سقطت بأيديهم واستباحوها سنة (491هـ/1098م)، وأسسوا بها إمارة صليبية ثانية[14].

2.2. احتلال بلاد الشام

1.2.2. احتلال أنطاكية

وصل الصليبيون إلى أنطاكية في شهر (ذي القعدة 490هـ/سبتمبر1097م) وضربوا الحصار عليها ويصف لنا أحمد بن علي الحريري حالهم بقوله: "ثم إن الفرنج شددوا الحصار على أنطاكية وصاحبها يومئذ ياغي سنان، ثم إن ياغي سنان أخرج النصارى المقيمين بأنطاكية وطردهم ونهب دورهم، ودام الحصار على أنطاكية تسعة أشهر، وهلك أكثر الفرنج عليها من القتل والموت، والجوع، وظهر من شجاعة صاحبها ما لم ير مثله "[15]، ولم تجد فرق السلب والنهب التي شكلوها للإغارة على المناطق الريفية المجاورة ما تنهبه، حتى باتوا في مأزق حقيقي، وفي المقابل، كان المسلمون في داخل المدينة، في نزاع كبير، على الرغم من أن جيشا إسلاميا، بقيادة كربوغا أمير الموصل، كان يشق طريقه لإنقاذ المدينة، لكنه وصل بعد فوات الأوان[16].

في هذه الأثناء حاك بوهيموند مؤامرة، رأى فيها وسيلة لتحقيق أطماعه ودفعته للانضمام إلى الحملة الصليبية، وهي الاستقلال بحكم أنطاكية ليؤسس بها إمارة نورماندية، لذلك قرر الرحيل إذا لم يوافق القادة الصليبيون على منحه حكم أنطاكية بعد الاستيلاء عليها[17]، ونتيجة للخوف الذي انتاب الصليبيين، وافق الزعماء على طلبه، وكان بوهيمند قد دبر مؤامرة مع أحد الأرمن على فتح باب البرج الذي يتولى حراسته، ودخل الصليبيون إلى المدينة واستولى على القلعة ليعلن تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية في شهر (جمادى الآخرة 491هـ/جوان1098م)، وهي الإمارة الثانية التي يؤسسها الصليبيون بعد الرها[18].

2.2.2. احتلال مدن ساحل الشام

تجدر الإشارة إلى أن أغلب المدن الساحلية الشامية الكبرى، كانت بيد الفاطميين زمن الحروب الصليبية، وإن كانت بعضها بأيدي السلاجقة، لكن اندحار القوة السلجوقية بمجيء الصليبيين جعلها تضيع من أيديهم لتدخل في فلك الفاطميين مرة أخرى ، وكما أشرنا سابقا فإن الفاطميين استغلوا فرصة مجيء الصليبيين ليسترجعوا ما افتكه السلاجقة منهم، وكانوا يعتقدون أن الصليبيين سيتوقفون عند حدود ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية سابقا، ولم يكونوا على دراية بمخططاتهم، ولذلك فإن الصليبيين بمجرد أن سيطروا على ما كان بأيدي السلاجقة حتى شرعوا في السير إلى بيت المقدس، الذي كان يخضع لسلطة الفاطميين، وخاب بذلك ظن الفاطميين الذين بادروا بالخيانة، ليلاقوا نفس مصير السلاجقة ، وقد كان هدف الصليبيين الرئيسي هو الاستيلاء على بيت المقدس، وما إن حققوا ذلك حتى وجهوا نظرهم إلى بقية المدن الكبرى، بداية من مدينة عكا[19].

1.2.2.2. احتلال طرابلس

يعد ريموند الصنجيلي كونت تولوز، من أبرز القادة الصليبيين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى، وأكثرهم شهرة، فقد شارك في الاستيلاء على أنطاكية، ولم ينل منها منالا، وإنما استأثر بها بوهيموند، الذي نافسه مرة أخرى على معرة النعمان [20]، بعد أن استولى عليها بنفسه، وأجبره على التخلي عنها، وعندما استولى على أنطرطوس [21] وحاصر عرقة [22]، اضطره زعماء الحملة إلى تركهما، ليزحف معهم إلى بيت المقدس وحدث له مثل ذلك عند عسقلان [23] وأرسوف [24] بفلسطين[25].

وقد كان هذا الرجل يطمح إلى تأسيس إمارة لنفسه، تتحكم في الطريق الساحلي، والطريق الداخلي الذي يصل بيت المقدس عبر واد العاصي، وتحقيق ذلك لا يحدث إلا بالسيطرة على المدن الساحلية، وبمساعدة أسطول بحري من جنوة[26]، وعندما غادرت بقايا الجموع الصليبية التي وفدت على الشرق في عام (495هـ/1101م) أنطاكية متوجهة إلى بيت المقدس، بذل جهدا لقيادتها والاستفادة منها، وكان يهدف لتأسيس إمارة بجوار إمارة أنطاكية على حساب المسلمين، ووقع اختياره على مدينة طرابلس التابعة لبني عمار، ويبدو أن السيطرة عليها تقضي احتواء مدن أخرى تجاورها، حتى يؤمن جانبها فيما بعد.

كانت البداية من أنطرطوس التابعة لهؤلاء، عندما خرج إليها بمساعدة أسطول جنوي كان قد وصل حديثا إلى سواحل بلاد الشام، فسقطت المدينة في(جمادى الأولى 495هـ/ فيفري 1102م)[27] ، واتخذها قاعدة ومنطلقا لأعماله ومشاريعه المقبلة على ساحل بلاد الشام، وأول هذه المشاريع الاستيلاء على طرابلس نفسها، ولما كان رفاقه يتطلعون إلى الرحيل إلى بيت المقدس مباشرة فقد انفضوا من حوله، ولم يبق معه سوى عدد قليل من الجنود، فوصل إلى نواحي طرابلس في جمع لا يزيد على ثلاثمائة رجل[28].

كان القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس رجلا مسالما ، وسيطر في وقت من الأوقات على كل الطريق الساحلي الممتد من اللاذقية[29] إلى بيروت[30] التابعة للفاطميين[31]، وقد تعامل بمرونة مع زعماء الحملة الصليبية الأولى أثناء مرورهم بأراضي إمارته في طريقهم إلى بيت المقدس، كما حالف بلدوين الأول ملك بيت المقدس، وحذره من الكمين الذي نصبه له سلاجقة دمشق، وحرص دائما على الاحتفاظ باستقلاله وسط النزاع الفاطمي السلجوقي الصليبي.

غير أن موقفه تغير عندما استولى ريموند الصنجيلي على أنطرطوس، وهدد طرابلس فعندئذ رأى فخر الملك نفسه مضطرا لخوض الحرب دفاعا عن أراضيه، واستنجد بالقوى الإسلامية القريبة لمواجهة ذلك الخطر، فكتب إلى ياخز خليفة جناح الدولة على حمص، وإلى دقاق بن تاج الدولة تتش ملك دمشق لمساندته، وأطمعهما بالتصدي لريموند وهو بهذه الشلة القليلة من الجيش، فاستجابا له وأرسل دقاق ألفي مقاتل إلى طرابلس، في حين خرج ياخز على رأس جيش يزيد عن هذا العدد، وكان في اعتقادهم أن الفرصة قد حانت للقضاء عليه[32].

اجتمع الحلفاء عند باب طرابلس وهم على تعبئة استعدادا للتصدي للقوة الصليبية، أما ريموند فقد عبأ قواته وقسمها إلى أربع فرق:

فرقة مؤلفة من مائة مقاتل لمقاتلة عسكر طرابلس.

فرقة ثانية من مائة مقاتل لمواجهة عسكر دمشق.

فرقة ثالثة من خمسين مقاتلا لمواجهة عسكر حمص.

واحتفظ هو بخمسين مقاتلا لحمايته[33].

لم يورد المؤرخون الصليبيون تفاصيل عن هذه المعركة، وكل ما نعلمه عنها مستمد من المؤرخ ابن الأثير، فقد ذكر أنه عندما بدأت المواجهة العسكرية، انكسر عسكر حمص بعد هجوم فاشل قاموا به على المائة المقابلة لهم، وولوا منهزمين، فانتشر الهلع بين الجنود

الدمشقيين وانسحبوا من المعركة، وصمد عسكر طرابلس، فلما شاهد ريموند خصومه وهم يفرون، ركز هجومه على عسكر طرابلس وأجبرهم على الارتداد، وقتلوا سبعة آلاف من المسلمين ونازل صنجيل طرابلس وحاصرها، إلا أنه لم يتمكن من اقتحامها، فهادن فخر الملك على مال وخيل[34] وعاد إلى أنطرطوس.

وبدراسة بسيطة لسير العمليات العسكرية، ولعدد أفراد الجيشين الإسلامي والصليبي الذين خاضوا المعركة، بالإضافة إلى النصر الذي حققه ريموند، يتراءى لنا بأن الأمير الصليبي يكون قد تلقى مساعدات خارجية كافية، وربما يكون نصارى لبنان الذين يسكنون المناطق المجاورة لطرابلس، هم الذين قدموا هذه المساعدة، نظرا لعدائهم للمسلمين، ولعل ما يدعم رأينا هذا هو ما قاله ابن الأثير: " ونازل صنجيل طرابلس، وحصرها، وأتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها، وكذلك أهل السواد الأعظم، وأكثرهم نصارى، فقاتل من بها أشد قتال، فقتل من الفرنج ثلاثمائة، ثم إنه هادنهم على خيل ومال، فرحل عنهم..."[35].

ومهما يكن من أمر، فقد قام ريموند بمحاولة أخرى سنة (495هـ/1102م)للاستيلاء على طرابلس، فاستنجد فخر الملك من جديد بأميري دمشق وحمص " فجاؤوا ودفعوا الإفرنج عنه "[36].

لم تتوقف محاولات ريموند بمضايقة المدينة بشن الغارات عليها، ولبث على ذلك أكثر من سنتين، والواقع أن طرابلس لم تتأثر حتى ذلك الوقت بهذه الغارات ولا بالحصار الاقتصادي الذي فرضه عليها، وذلك بفضل مينائها الذي ظل مفتوحا على البحر.

وفيما كانت طرابلس تواجه حصارا اقتصاديا وغارات صليبية، إذ بها تواجه أيضا محاولات فاطمية للسيطرة عليها، ذلك أن سناء الملك حسين بن الأفضل، الذي أرسله أبوه في عام (496هـ/1103م) للانتقام من الصليبيين، وصل إلى طرابلس، وطلب من صاحبها فخر الملك تسليمه المدينة، لكن صاحب طرابلس رفض طلبه، وأغلق أبواب المدينة في وجهه، "وأقام سناء الملك عليها مدة بالعساكر إلى أن نازلها الفرنج ورحلوه عنها إلى عسقلان"[37].

والواقع أن ريموند استعان بالقوة الجنوية التي قدمت إلى الشرق في عام (497هـ/1104م) لمهاجمة طرابلس من البر والبحر، إلا أنه لم يحقق أي نجاح، فأيقن عندئذ أنها بقدر حصانتها برا فهي أيضا حصينة بحرا، فانصرف عنها إلى جبيل [38] واستولى عليها، وخرج منها واليها الفاطمي منهزما[39]، ثم عاد إلى طرابلس وهو مصمم على الاستيلاء عليها هذه المرة، ولما كانت المدينة محصنة تحصينا قويا وطبيعيا، وحتى يضيق الحصار عليها، ويعزلها عن العالم الخارجي، ويمنع عنها كل النجدات البرية والبحرية التي تأتي إليها، فضلا عن تحركات عساكرها، رابط عند نهر المدينة، ثم بنى في أواسط (489هـ/1104م)، قلعة فوق التلة الغربية المشرفة على النهر مباشرة أطلق عليها المؤرخون اسم قلعة صنجيل، وتتحكم بالميناء والأرباض المحيطة بها، كما تتحكم في مجرى النهر الذي يسقي سكان المدينة وبساتينها، فأمن بذلك المركز المسيطر عسكريا على طرابلس، وساعده نصارى لبنان في عملية البناء[40].

وحاول فخر الملك أبو علي بن عمار هدم القلعة، فهاجمها في شهر (ذي الحجة 497هـ/

جويلية1104م)، وأضرم النار في المعسكرات المقامة إلى جوارها، ثم دخل بقواته إلى القلعة نفسها، وقتلوا من فيها ونهبوها وأحرقوها، وأخذوا ما فيها من السلاح والمال، وعادوا إلى المدينة، ويبدو أن هذا الهجوم الناجح أثر على معنويات ريموند، فاضطر إلى عقد هدنة مع فخر الملك، من بنودها مرابطة الصليبيين في ظاهر طرابلس مقابل أن لا يقطعوا الميرة، ولا يمنعوا المسافرين من الخروج من المدينة أو القدوم إليها[41].

وبينما قدم ريموند ليتفقد القلعة بعد الهجوم عليها، وقف على بعض سقوفها المحترقة فانخسفت به، وأصيب بجروح بليغة أدت إلى وفاته في (04جمادى الآخرة 498هـ/21 فيفري 1105م) دون أن يحقق هدفه، ولصغر سن ابنه ألفونسو جوردان، تم اختيار ابن عمه وليام جوردان ليخلفه في الحكم[42].

واصل جوردان سياسة سلفه، فتعرضت طرابلس، نتيجة ذلك، لأسوأ أنواع الحصار، فقلت المؤن وانتشرت الأمراض، وفي محاولة للتخفيف من تبعات هذا الحصار، استنجد فخر الملك بالأمير سقمان الأرتقي صاحب ماردين [43]، رغم بعده عن طرابلس، وقد تحاشى الاستعانة بجيرانه الفاطميين تخوفا من أطماعهم، هذا وكان على علاقة سيئة مع طغتكين [44]أتابك دمشق، غير أن سقمان توفي في الطريق، فعاد قادته إلى الجزيرة للتباحث بشأن ولاية الحكم، فما كان من فخر الملك إلا أن توجه إلى بغداد في شهر (رمضان 501هـ/أفريل1107م) ليطلب النجدة، من الخليفة العباسي المستظهر والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه[45]، وعين ابن عمه أبا المناقب محمد بن عبد الله بن عمار، الملقب بشمس الملك، نائبا عنه، ولما عاد بعد أربعة أشهر وجد إمارته قد ضاعت منه[46].

وفي الوقت الذي كان فيه فخر الملك غائبا في بغداد، أدرك أعيان المدينة أن ما من دولة إسلامية تستطيع مساعدتهم سوى الدولة الفاطمية، فطلبوا من الأفضل أن يرسل إليهم واليا يتولى إدارة المدينة ومعه الميرة، فاستجاب الأفضل لطلبهم، وعين شرف الدولة بن أبي الطيب حاكما عليها في أواخر عام (501هـ/1108م)[47] ، وبذلك خرجت طرابلس من قبضة بني عمار، وعادت إلى الفاطميين مرة أخرى.

لكن الفاطميين كانوا في حالة ضعف فلم يستطيعوا الدفاع عن طرابلس، ولم يظفر بها ويليام جوردان، ثم جاء الأمير برتراند، الابن الأكبر لريموند الصنجيلي ووريثه الشرعي، وكان حاكما على إقليم تولوز، ونتيجة للنزاع بين الصليبيين حول اقتسام الإرث، عقد اجتماع في شهر (ذي القعدة 502هـ/1109م)، خارج أسوار طرابلس وحضره أمراء الشرق الصليبيون، تقرر فيه أن تكون جبيل من نصيب برتراند بالإضافة إلى طرابلس بعد الاستيلاء عليها[48].

وما إن تم انعقاد الصلح بين الصليبيين، حتى نهضوا جميعا للاستيلاء على المدينة، فاستولوا عليها وأضحى برتراند أميرا على طرابلس، فأكد تبعيته لمملكة بيت المقدس[49]، وحدد ابن تغري بردي ثلاث أسباب لسقوط طرابلس هي:

– تقاعس الفاطميين عن المسير إليها تلك المدة الطويلة.

– ضعف العسكر الذي أرسلوه مع أسطول مصر، ولو كان لعسكر الأسطول قوة، لدفع الفرنج من البحر عن

البلد حسب الحال " وإن كان أرسل مع الأسطول عسكرا فهو كلا شيء "[50].

– عدم خروج الأفضل بنفسه على رأس العساكر المصرية، " هذا مع قوتهم من العساكر والأموال والأسلحة "[51].

2.2.2.2. سقوط بيروت وصيدا[52]

أ – سقوط بيروت

لما استقر الأمر لبلدوين في مملكته ببيت المقدس، بدأ يتطلع إلى توسيع مملكته، على حساب المدن الساحلية، مثل عسقلان في الجنوب، وصور وصيدا وبيروت في الشمال، والمعروف أن كلا من عسقلان وصور تعد من الحصون المنيعة، وتنزل فيها حاميات عسكرية قوية، وبالتالي يقتضي إخضاعها لاستعدادات قوية.[53]

اهتمامهم للاستيلاء على بيروت، فحاصرها بلدوين برا وبحرا، ولما استعصت عليه، طلب المساعدة من صليبيي طرابلس وغيرهم من الشمال، ومن نصارى لبنان فاستجاب لطلبه برتراند، صاحب طرابلس، وجوسلين صاحب تل باشر [54]، كما اجتمع بأمراء النصارى في جبيل وشن الحلفاء غارة مفاجئة على بلاد وقرى الغرب المحيطة ببيروت فنهبوها وأحرقوها، وقتلوا وأسروا كل من وجدوه من أهلها، ثم حاصروا بيروت، ووضعوا أبراجا لينصبوها على أسوارها، لكنهم جوبهوا بمقاومة شديدة من جانب سكانها بقيادة حاكمها عضد الدولة التنوخي[55].

تجاه هذا الوضع العسكري، استنجد بلدوين بالجنوية، فأمدوه بأربعين سفينة مشحونة بالمقاتلين، فتقوى بهم، وضيق الحصار على بيروت، " فزحف الإفرنج في البر والبحر إليها بأسرهم في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال، ونصبوا على السور برجين، واشتدوا في القتال فقتل مقدم الأسطول المصري، وخلق كثير من المسلمين، ولم ير الإفرنج مما تقدم وتأخر أشد من حرب هذا "[56]، واستمر القتال بشكل متواصل ليل نهار، حتى ملك الصليبيون المدينة بالسيف، وفشلت السفن الفاطمية التي قدمت من صور وصيدا في كسر الطوق البحري وحاول عضد الدولة التنوخي الهرب مع جماعة من أعوانه، لكنه وقع في الأسر، وقتله الصليبيون، ونهبت بيروت وسبي من كان فيها، وبلغ عدد القتلى عشرين ألفا[57].

ب – سقوط صيدا

حظيت مدينة صيدا باهتمام الولاة الذين تداولوا على حكمها، سواء من الجانب الفاطمي أو السلجوقي، وذلك ببناء تحصينات حولها لحمايتها من أي غزو خارجي ، وهو ما جعلها تقوى على الصمود في وجه الصليبيين لبعض الوقت.

وجرت عدة محاولات صليبية للاستيلاء عليها، ففي عام (499هـ/1106م)، وصل إلى يافا[58] أسطول ضخم قدره فوشيه الشارتري بخمس وخمسين سفينة، تحمل حجاجا من الإنجليز والفلمنكيينوالدانمركيين يتراوح عديدهم بين سبعة آلاف وتسعة آلاف حاج، فاستغلهم بلدوين في مهاجمة صيدا [59]، وما إن وصلت الأخبار إلى أميرها التنوخي مجد الدولة حتى بادر بإرسال مبلغ ضخم من المال مقداره خمسة عشر ألف دينار، وقد لقي ذلك تجاوبا من بلدوين الذي كان في حاجة إلى المال، كما تزامن ذلك مع وفاة هيو صاحب

طبرية[60]، فما كان على بلدوين إلا أن يسير إلى طبرية لتقرير أمرها، فرفع الحصار عن صيدا[61].

لكن بلدوين لم يتخل عن فكرة الاستيلاء على صيدا، فهاجمها في عام (501هـ/ 1108م)، وساعده هذه المرة أسطول بحري، يقوده ملاحون مغامرون من مدن إيطالية مختلفة من جنوة والبندقية وبيزة وأمالفي وغيرها وحقق نجاحا أوليا [62]، فأرسل حاكمها إلى طغتكينأتابك دمشق يطلب منه المساعدة، مقابل مبلغ ثلاثين ألف دينار، يمنحها له لقاء ذلك، ولكن لم يلبث أن تغير وجه المعركة، عندما وصلت إلى مياه المدينة خمسون قطعة بحرية فاطمية، فاصطدمت في معركة بحرية، مع السفن الإيطالية وهزمتها [63]، وبذلك فقد بلدوين عنصرا مهما من المساندة، ثم وصلته الأنباء باقتراب العسكر الدمشقي، الذي خرج لنجدة المدينة وتعداده خمسة عشر ألف مقاتل فأدرك عندئذ أن العملية فاشلة، وقرر الانسحاب إلى عكا بمن معه[64].

ولم يكد بلدوين ينسحب من أمام صيدا، حتى رفض حاكمها السماح للجيش الدمشقي بدخولها، والراجح أنه ارتاب بنوايا طغتكين، وخشي أن تكون هناك مؤامرة دبرها ضده الأتابك للاستيلاء على صيدا، كما امتنع عن دفع المبلغ المقرر بينهما، فهدد الجيش الدمشقي عند ذلك، باستدعاء الملك الصليبي لمهاجمة المدينة، ولما انسحب الجيش الصليبي من أمام صيدا قام الدمشقيون بتهديد المدينة بأنفسهم، حتى تم الاتفاق على أن يدفع مجد الدولة مبلغ عشرة آلاف دينار تعويضا لهم على خروجهم لنجدته[65].

وصادف أن وصل إلى عكا، في أوائل عام (503هـ/1110م)، سبعون مركبا يحمل عشرة آلاف مقاتل نرويجي بقيادة سيجورد، أحد ملوك النرويج، وما إن علم بلدوين بوصولهم حتى سارع لاستقبالهم، ويبدو أنه كان في القدس حال وصولهم، ولذلك " فقد أثلج صدره لمقدم هؤلاء القوم، وتبادل معهم أطراف الحديث بود، يحثهم بل يتوسل إليهم أن يبقوا، محبة بالله في الأراضي المقدسة، لفترة وجيزة ليقدموا العون من أجل نشر وتعظيم اسم المسيحية...واستلموا طلبه بعين الرضى..."[66]، وكان قد استدعى أيضا برتراند حاكم طرابلس فجاء بقواته وانضم إليهما.

وبدأ الحلفاء في فرض حصار بري وبحري على صيدا في ثالث ربيع الآخر، وقطعوا طرق الإمدادات إليها، ومع ذلك فقد قام أسطول فاطمي أبحر من ثغر صور، بمهاجمة السفن النرويجية وكاد أن يبيدها كلها، لولا أن وصل في الوقت المناسب أسطول بندقي يقوده دوق البندقية أورديلافوفالييري، فاشترك مع الأسطول النرويجي في حصار المدينة، ومهاجمتها من جهة البحر وعجزت السفن الفاطمية أن تمد أهل صيدا بما يحتاجونه من سلاح وعتاد ومقاتلة ومؤن[67].

وفي الوقت الذي كان فيه القتال دائرا، أعد حاكم صيدا خطة لاغتيال بلدوين، غير أن النصارى من أهلها، الذين علموا بهذه المؤامرة، أعلموا بها بلدوين، فقبض على الشخص المكلف باغتياله وأعدمه فورا [68]، وزادت هذه الحادثة من تصميمه على الاستيلاء على المدينة، فأدرك قاضيها وشيوخها استحالة المقاومة، وخشوا مصيرا كمصير بيروت، لذلك خرجوا لمقابلة بلدوين، وطلبوا منه الأمان لأهل المدينة، واستحلفوه على ذلك فأجابهم إلى طلبهم، وأصدر أوامره إلى العساكر بتأمين الناس على نفوسهم وأموالهم، والسماح

لمن يريد الخروج منهم إلى دمشق وغيرها، وعدم التعرض لمن يريد البقاء في المدينة[69].

خرج حاكم صيدا وجميع قادة الأجناد والعساكر، وقاضيها، وخلق كثير من الناس من أهلها وتوجهوا إلى دمشق، وبقي الفقراء فيها، فخضعوا لحكم الصليبيين، ودخلوا في تبعية مملكة بيت المقدس الصليبية، ودخل الصليبيون إلى المدينة بعد مقاومة دامت سبعة وأربعين يوما، فرتب بلدوين أوضاعها وعين المحافظين عليها وعاد إلى بيت المقدس[70].

3.2.2.2. سقوط صور

أ – المرحلة الأولى:

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر، إلى غاية سنة (506هـ/1111م)[71] ، وكان الوالي عليها من جهة الأفضل أمير الجيوش وزير الآمر بأحكام الله العلوي، يلقب عز الملك، وقد تعرضت للمضايقة من الفرنج ونهبوا بلدها عدة مرات، وفي سنة (506هـ/1111م) تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير إلى صور، فخافهم أهل صور وأرسلوا إلى الأتابكطغتكين صاحب دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم أميرا، من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له فسير إليهم عسكرا، وجعل عليهم واليا اسمه مسعود، وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكائدها، وأمده بعسكر، وسير إليهم ميرة ومالا، وهو ما أطاب نفوس أهل البلد، ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة[72].

وكتب إلى الأفضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول له متى وصل إليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها إليه، ويطلب أن الأسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة، فشكره الأفضل على ذلك وأثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله، وجهز أسطولا وسيره إلى صور فاستقامت أحوال أهلها ولم يزل كذلك إلى سنة (516هـ/1123م) بعد قتل الأفضل، فسير إليها أسطولا على جاري العادة، وأمر المقدم على الأسطول أن يعمل الحيلة على الأمير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه[73].

وقيل أنه قرر القبض عليه، لأن أهل صور أكثروا الشكوى منه إلى الآمر صاحب مصر بما يعتمده من مخالفته والإضرار بهم[74]، فسار الأسطول ولما أرسى عند صور خرج إليه مسعود للسلام عليه، فقبضوا عليه ونزلوا البلد واستولوا عليه وعاد الأسطول إلى مصر وفيه الأمير مسعود فأكرم وأحسن إليه وأعيد إلى دمشق[75]، ثم قام الوالي المصري بمراسلة طغتكين، وشرح له دوافع القبض على مسعود، وطيب خاطره فرضي.

ب – المرحلة الثانية

وما إن علم الفرنج بانصراف مسعود عن صور، حتى قوي طمعهم فيها ولذلك شرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها، وما إن علم أهلها بنوايا الصليبيين حتى كتبوا إلى طغتكين يسألونه أن يسلمونها إليه قبل مجيء الفرنج[76]، لأنهم يئسوا من نصرة مصر فاستجاب لطلبهم، وبعث إليهم بالفرسان والرجالة[77]، ثم سار إليهم بلدوين في الخامس والعشرين من (جمادى الأولى 505هـ/نوفمبر1112م) ونازلها أياما، إلا أنه كان يعود خاسرا دوما، ثم خرج طغتكين وخندق ببانياس[78]، وجهز جيشا لنجدة صور، إلا أنهم عجزوا في الدخول إليها من الفرنج، " ثم رحلت الفرنج عنها ونزلوا على الحبيس وهو حصن عظيم، وحاصروه

حتى فتحوه عنوة، وقتلوا كل من كان فيه ثم عاد بغدوين إلى صور وشرع في عمل الأبراج، وأخذ في قتالها والزحف في كل يوم، ولما بلغ ذلك طغتكين زحف عليهم ليشغلهم، فخندق عليهم، وهجم الشتاء فلم يبال الفرنج به لأنهم كانوا في أرض رملة، والميرة تصل إليهم من صيدا في المراكب "[79].

ثم خرج طغتكين في البحر باتجاه صيدا، وقتل جماعة من الفرنج وأغرق مراكبهم، ولما علم به أهل صور تقوت نفوسهم، ثم عمل الفرنج برجين عظيمين، طول الكبير منهما زيادة على خمسين ذراعا، وطول الصغير زيادة على أربعين ذراعا، وزحفوا بهما أول شهر رمضان، وخرج أهل صور بالنفط والقطران ورموا النار، فهبت الريح واحترق البرج الصغير بعد معركة كبيرة ثم انتقلت النار في البرج الكبير أيضا فأطفأها الفرنج[80].

ولما أدرك الفرنج صعوبة الوصول إلى المدينة، لوجود الخندق حائلا بينهم وبينها، قاموا بردمه واستمروا في الإغارة على المدينة طوال شهر رمضان، حتى أشرف أهلها على الهلاك، عندها تحيل واحد من المسلمين له خبرة بالحرب، فعمل كباشا من أخشاب تدفع البرج الذي يلصقونه بالسور، ثم تحيل في حريق البرج الكبير حتى أحرقه، وخرج المسلمون فغنموا منه آلات وسلاحا، فحينئذ يئس الفرنج من أخذها، ورحلوا عنها بعدما أحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على الساحل والأخشاب والعمائر والعلوفات وغيرها[81].

وظل أهل صور على حالتهم هذه مع الفرنج، مرة بالقتال وأخرى بالمهادنة، كل ذلك والنجدة المصرية لم تصل بعد، ولما يئسوا من وصولها، قرروا تسليمها للفرنج بالأمان في سنة (518هـ/1125م).

أما ابن القلانسي فيقول بأن صور سقطت بأيدي الصليبيين، سنة (519هـ/1126م) ويقول بأن سبب سقوطها هو زيادة النكاية في المسلمين من صاحب مصر[82]، "فإن سيف الدولة المذكور كان قائما بمصالح المسلمين، وفعل ما فعل مع الفرنج من قتالهم وحفظ سور المدينة هذه المدة الطويلة، فأخذوه منها غصبا وخلوا البلد مع من لا قبل له بمحاربة الفرنج "[83].

ويقول بأن عمل المصريين هذا هو بمثابة نجدة للفرنج، والحق أنه أصاب فيما قاله، فمن المفروض على الفاطميين بما أنهم قد عجزوا عن حماية صور، أن يتركوها بيد مسعود، فقد تكلف بحمايتها، وكان قد أرسل إليهم يطلب منه المقدم إليها لحمايتها، أو تركها بيده ليتولى حمايتها بنفسه، ولكنهم أبوا ذلك، لحاجة في أنفسهم، وربما يكون ذلك لاختلافهم معهم في المذهب والمعتقد، وها هو المقريزي، يقر بغرور الفاطميين حيث ذكر بالعين الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله، عندما قصر في حق صور بقوله: " وأعظم ذنوبه عندي ما جرى منه في حق صور، وإخراجها من يد الإسلام إلى الكفر..."[84].

3. موقف الفاطميين من العدوان الصليبي

كان من المفروض أن يقف الفاطميون من العدوان الصليبي على البلاد الإسلامية، موقف المعادي والرافض له، فيصبحوا بذلك أحلافا لإخوانهم السنيين من السلاجقة أو العباسيين، إلا أنهم أبانوا منذ البداية عن سوء نواياهم، ورفضوا تقديمهم المساعدات المادية، وسبب ذلك على ما يبدو هو اختلافهم مع هؤلاء في المذهب، فقد عمل الفاطميون منذ بداية دولتهم، على

إعلاء مذهبهم والقضاء على المذهب السني، ولو اقتضى ذلك التحالف مع ألد أعدائهم.

وإذا كان للفاطميين، دور في مجيء الصليبيين كما أشار إليه بعض المؤرخين، فإن ما فعلوه عند استيلاء الصليبيين على الأراضي التابعة للسلاجقة، كان خير دليل على تقاعسهم في نصرة المسلمين، على أنهم لم يكونوا كذلك عندما شعروا بدنو الصليبيين من ممتلكاتهم، والوقائع التي سنوردها هي ردود الفعل التي صدرت عن الفاطميين، تجاه الصليبيين عشية دخولهم أرض الإسلام.

1.3. سياسيا

في الوقت الذي وصلت فيه طلائع الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام، كان الفاطميون منهمكين بسوء أوضاعهم الداخلية السياسية والاقتصادية، وتحكمت فيهم روح العداء للسلاجقة في بلاد الشام، لذلك لم يتحمسوا آنذاك لفكرة الجهاد ضد الصليبيين، وربما رأى بعض أركان الدولة في هؤلاء درعا يحميهم من خطر السلاجقة [85]، غير أن استفاقة الفاطميين على هذا الخطر الداهم، جاءت متأخرة، واتصفت عملياتهم العسكرية بسوء النظام والإهمال وعدم تقدير خطورة الموقف.

والواقع أن القيمين على الدولة الفاطمية، شأنهم في ذلك شأن عامة المسلمين، لم يدركوا لأول وهلة، طبيعة الحركة الصليبية، وحقيقة نوايا الصليبيين، مما جعلهم يتخبطون في سياساتهم تجاههم، وكانوا يأملون في استغلال هذه القوة لتقوية موقفهم تجاه السلاجقة[86].

1.1.3. التحالف مع الصليبيين ضد السلاجقة

كان الأفضل بن بدر الجمالي صاحب السلطة الفعلية في مصر، وعندما سمع بأن الصليبيين الذين وصلوا بلاد الشام، واشتبكوا مع الأتراك السلاجقة، أعداء الدولة الفاطمية، فكر في عقد تحالف معهم ضد هؤلاء، فأرسل سفارة اجتمعت بزعمائهم أمام أنطاكية في شهر (صفر 491هـ/جانفي1098م) وعرضت عليهم مشروع التحالف الذي تضمن البنود التالية:

- ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية وشمال بلاد الشام.
- تحتفظ مصر ببيت المقدس وجنوب بلاد الشام.
- يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وتكون لهم الحرية الكاملة في أداء شعائرهم الدينية، على ألا تزيد مدة إقامتهم فيها عن شهر واحد، وألا يدخلوها بسيوفهم.
- يتعاون الطرفان في القضاء على السلاجقة[87].

ويبدو أن الأفضل قد عمد إلى هذه الفعلة، لاعتقاده بأن الصليبيين لن يتجاوزوا حدود الدولة البيزنطية، التي وصلتها أيام صحوتها في القرن العاشر الميلادي، وهي مدينة أنطاكية خصوصا وأن كلا من الإمبراطور نقفورفوقاس ويوحنا زمسكيس، قد سعيا لتحقيق ذلك كم من مرة، فخيل إليه (الأفضل) أن الصليبيين لم يأتوا إلا لتلك الغاية[88].

والواقع أن هذه السفارة، لم تؤد إلى النتائج التي خطط لها الأفضل، غير أنها أدت إلى نتيجة في صالح الصليبيين، وهي وقوفهم على مدى الخلاف السائد بين الفاطميين والسلاجقة في بلاد الشام، ولذلك قرروا الزحف إلى بيت المقدس، بعد أن تمكنوا من السيطرة على أنطاكية[89].

ويبدو أن موقف الفاطميين السلبي، من الحملة الصليبية الأولى عند وصولها إلى شمال الشام أثار استياء المسلمين ونقمتهم، حتى أن بعض المؤرخين، وجهوا لهم أصابع الاتهام بأنهم هم من راسل الصليبيين للمجيء، وذلك للقضاء على خصومهم السلاجقة، وعبر ابن الأثير عن ذلك بقوله: " وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم من دخول الأقسيس (أتسز حاكم بيت المقدس) إلى مصر وحصرها، خافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين"[90].

ويعجب المؤرخ ابن تغري بردي من امتناع الأفضل عن النهوض لمساعدة المسلمين أمام أنطاكية " ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال..."[91]، ثم يشرح كيف خرجت عساكر المسلمين في العراق وبلاد الشام لصد زحف الصليبيين " كل ذلك وعساكر مصر لم تهيأ للخروج "[92].

ويبدو أن الأفضل كان قد ابتهج بذهاب سلطان السلاجقة في آسيا الصغرى وشمال بلاد الشام، بعد سقوط نيقية وخسارة كربوغا أمام أنطاكية، دون أن يتمكن رضوان بن تاج الدولة تتش صاحب حلب أو أخوه دقاق صاحب دمشق، أو حتى السلطان السلجوقي بركياروق، في إيقاف الزحف الصليبي، ولذلك تقاعس الأفضل عن نصرة المسلمين لاعتقاده أن السلاجقة هم الأعداء وليس الصليبيون[93].

ومن ناحية أخرى، فإن هناك ما يشير إلى أن الإمبراطور البيزنطي أليكسوس كومينين نصح الصليبيين عند مرورهم بالقسطنطينية، في طريقهم إلى الشرق، بأن يجتهدوا في محالفة الفاطميين، لأنهم سيكونون لهم سندا ضد السلاجقة في بلاد الشام وشمال العراق[94].

ويبدو أنهم استجابوا لتلك النصيحة، فأرسلوا سفارة إلى القاهرة صحبت السفارة الفاطمية لدى عودتها، غير أنه لم يلبث أن اتضح أنه لم يكن لدى أعضائها السلطة للتفاوض، بل عقدوا العزم على أن يسيروا إلى بيت المقدس ويستولوا عليه، إنما أكدت هذه السفارة حرص الصليبيين مع الفاطميين للقضاء على العدو المشترك [95]، بالإضافة إلى مشروع التحالف الذي عرضه الأفضل على الصليبيين، فقد استغل فرصة انهماك السلاجقة بالتصدي للزحف الصليبي في شمال بلاد الشام، فنهض لاستعادة نفوذ الفاطميين فيجنوب بلاد الشام، ظنا منه أنه بات من اليسير تحقيق مكاسب سريعة على حساب السلاجقة.

2.3. عسكريا

1.2.3. احتلال الفاطميين أراضي السلاجقة

لم يكتف الفاطميون بمعاداة أهل السنة، ووقوفهم على ذهاب ممتلكات إخوانهم السلاجقة موقف المتفرج، ليذهبوا إلى أبعد من ذلك، وهو الانتقام من السلاجقة الذين استولوا على بعض أراضيهم من قبل، ومنها بيت المقدس، ومدينة صور، غير أن ذلك كله ليس بحجة يركبها القيمون على السلطة في مصر، ويعاودون الاستيلاء عليها بدعوى أنها من ممتلكاتهم، لأنه إذا نظرنا بعين الإنصاف والحكمة، فإنه كان على

الفاطميين أن يساندوا السلاجقة في جهادهم، بدل الوقوف موقف المتفرج وكأن الأمر لا يعنيهم.

ثم لو اعتبرنا أن الفاطميين لم يرقهم استيلاء السلاجقة على بعض ممتلكاتهم غصبا، وبالتالي استغلال أية فرصة تتاح لهم لاسترجاعها شريطة أن لا يتخلوا عن مساندة السلاجقة لكنا قد صوبنا رأيهم في ذلك، غير أن العكس هو الذي حدث، وسبب ذلك على ما يبدو هو الاختلاف المذهبي بين الطرفين، كما أن التعنت الفاطمي، ورفضه للتعايش مع السلاجقة، هو ما جعلهم يرفضون كل صور التعاون والسلمية معهم، ولذلك نزلوا عند فكرة التحالف مع الصليبيين رغم عدائيتهم الواضحة للإسلام والمسلمين، معتقدين غباء منهم أنهم يخدمون مصلحتهم في ذلك.

1.1.2.3. الاستيلاء على مدينة صور

لما بلغ الوهن بالعساكر السلجوقية، وهي في مواجهة الصليبيين، قرر الفاطميون استرجاع المدن التي ضاعت منهم من قبل، ومنها مدينة صور:

تجدر الإشارة إلى أن مدينة صور، كانت إلى غاية سنة (490هـ/1097م) تابعة للفاطميين غير أن حاكمها المدعو كتيلة، لما علم بزحف الفرنج على شمال بلاد الشام، أظهر عصيانه وقرر الخروج عن طاعة المستعلي الفاطمي، ولذلك فما إن أدرك الأفضل بأنه بإمكانه استعادتها، حتى جهز لها جيشا كثيفا شهر(ربيع الأول491هـ/فيفري1098م)، وحاصرها حتى ضيق عليها " ثم افتتحها عنوة بالسيف، وقتل بها خلق كثير، ونهب منها المال الجزيل، وأخذ الوالي أسيرا بغير أمان، وحمل إلى مصر فقتل بها "[96].

ولكن ما لا نعلمه هو هل تمرد كتيلة على الخليفة الفاطمي هو بغرض الانضمام إلى السلاجقة؟ وفي هذه الحالة يكون الفاطميون قد وقفوا نفس موقفهم من بيت المقدس، أما إن كان تمرده بغرض الاستقلال بهذا الثغر، فهنا يمكننا أن نقبل عذر الفاطميين في عدم السماح له بالانفصال في مثل هذا الوقت بالضبط، لكن ذلك لا يعني أن يستبيحوا المدينة.

2.1.2.3. الاستيلاء على بيت المقدس

أما بالنسبة لبيت المقدس، فالظاهر أن الفاطميين لم يهاجموه قبل بداية العدوان الصليبي وذلك لتخوفهم من قوة السلاجقة غير أنه ومع بداية العدوان الصليبي وتأكد الجانب الفاطمي من إمكانية السيطرة عليه، بعد أن انشغل السلاجقة بدفع الصليبيين عن أراضيهم[97]، حتى خرج الأفضل من مصر على رأس جيش كثيف، ومجهز بأحدث آلات الحصار من بينها أربعين منجنيقا[98] ونزل على بيت المقدس، في شهر (رمضان491هـ/أوت1091م) والصليبيون ما يزالون في أنطاكية، وحاصره وفيه الأميران سقمان وإيلغازي، ابنا أرتق بن أكسك[99].

ثم راسلهما يطلب منهما تسليم بيت المقدس إليه دون قتال، فامتنعا في بداية الأمر عن إجابة طلبه وتحصنا وراء أسوار المدينة، بعد أن علما أن دقاقا ليس بمقدوره مساعدتهما، وربما كان في اعتقادهما أنه بإمكانهما الصمود وراء تحصينات بيت المقدس، ولذلك ظل الأراتقة يقاومون الحصار مدة أربعين يوما ولم يرغمهم على الاستسلام إلا ما حدث من تدمير الأسوار، ودخل الأفضل إلى بيت المقدس واستولى عليه، فأحسن معاملة الأخوين وسمح لهما بالذهاب إلى دمشق

مع رجالهما، وعندئذ استعاد الفاطميون سيادتهم على بيت المقدس[100].

وفي اعتقادنا أن الأفضل سمح لهما بالخروج دون أن يمسهم يسوء، لعلمه بأن ذلك ليس في صالحه، فهو ربما لم يكن يريد أن تضاف إلى سجلاته وصمة عار أخرى بعد التي فعلها، من خلال عزوفه عن مساندة السلاجقة في جهادهم ضد الصليبيين، إضافة إلى استيلائه على كل من صور وبيت المقدس.

عاد الأفضل إلى القاهرة، بعد أن ترك الأمير افتخار الدولة، نائبا له على حكم بيت المقدس، ولم تكد تنتهي سنة (491هـ/1098م) إلا وكانت حدود الدولة الفاطمية قد امتدت إلى نهر الكلب [101] شمالا ومجرى نهر الأردن شرقا[102].

والواقع أنه تحقق ظن الوزير الفاطمي، فالسلاجقة كانوا منهمكين بصد الغزو الصليبي، ولذلك كانت سيطرته على بيت المقدس يسيرة، وبذلك خدم القضية الصليبية، لأنه سبب ارتباكا للسلاجقة في أشد الأوقات حرجا، غير أنه تجرع هو أيضا بعد فترة قصيرة من سقوط شمال الشام، من مرارة العدوان الصليبي.

فبعد أن توغل الصليبيون جنوبا صوب فلسطين، وسيطروا على المدن الساحلية أدرك الفاطميون حقيقة الأمر، وعرفوا أن هدف الصليبيين لم يكن شمال الشام فقط، وإنما بيت المقدس وما وراءه، وغدا الطرفان الفاطمي والصليبي وجها لوجه، فأضحى الصدام حتميا بينهما، عندها أرسل الأفضل رسالة إلى الإمبراطور البيزنطي أليكسوس كومينين يسأله عما إذا كان هؤلاء يعملون لحسابه، فأنكر الإمبراطور علاقته بهم [103]، فأرسل عندئذ سفارة فاطمية قابلت قادتهم قرب طرابلس، أثناء حصارهم لعرقة، تحمل الهدايا النفيسة والأموال الضخمة وعرضا بالسماح لحجاج الصليبيين بالحج وزيارة كنيسة القيامة في بيت المقدس على شكل مجموعات من مائتي وثلاث مائة حاج بشرط ألا يكونوا مسلحين، كما طالبهم بالتوقف عن الزحف جنوبا وأن موافقتهم على تلك الشروط تعني أن يصبح الفاطميون سندا لهم، وأنه في حال الرفض سوف تواجههم جيوش المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها[104].

رفض الصليبيون الاقتراح، وردوا على السفارة الفاطمية بأنهم سيحجون كجيش واحد وليس كجماعات بإذن الله وليس بإذن الخليفة الفاطمي، وأقسموا على انتزاع الضريح المقدس من أيدي الفاطميين، وهددوا السفارة الفاطمية بغزو مصر، وكان معنى ذلك بداية الصدام المسلح بين الطرفين، وشكل الاستيلاء على بيت المقدس الشرارة التي أشعلت نار الحرب بينهما[105].

2.2.3. المواجهة العسكرية الفاطمية الصليبية

لما أدرك الفاطميون أن الصليبيين ما جاؤوا لأجل شمال الشام وفقط، وإنما السيطرة على بلاد الشام كاملة، ومن ثم بيت المقدس، وهو هدفهم الأسمى، وعرفوا أن السياسة التي اتبعوها معهم غير قادرة على تحقيق المبتغى، قرروا استعمال وسيلة أخرى تكون أجدى بطرد الصليبيين، أو على الأقل إبعادهم عن ممتلكاتهم بالشام، ولم يكن أمامهم حل سوى استعمال القوة العسكرية.

تجدر الإشارة إلى أن ردة فعل الفاطميين العسكرية تجاه الصليبيين، جاءت على مرحلتين كانت الأولى منها بتدبير الوزير الأفضل بن بدر الجمالي،

واتسمت بنوع من الجدية، أما الثانية فقد كانت بعد مقتل الأفضل، واتسمت بالتهاون بل والإهمال.

1.2.2.3. في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي

جهز الأفضل سنة (498هـ/1105م) في إطار رده على سقوط مدينة طرابلس، حملة عسكرية كبيرة، وجعل عليها ابنه سناء الملك حسين، مع عسكر كثيف يزيد عدده عن خمسة آلاف فارس وراجل، واستنفر معه العرب بجنوب فلسطين، ولما وصل سناء الملك حسين ابن الأفضل إلى عسقلان، انضم إليه نائبها جمال الملك رضوان، حسب تعليمات الأفضل، ولم يكتف الأفضل بهذا بل طلب النجدة من ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق، لما وصلت إلى مسامعه أن الحصار المضروب على المدينة شديد، وليس بمقدوره فكه لوحده، فلبى طغتكين النداء وأرسل إلى الفاطميين أحد رجاله ومعه ألف وثلاثمائة فارس[106].

ونحن إذا تمعنا في ردة فعل طغتكين، لما طلب منه الأفضل المساعدة، يتبين لنا الفرق بين الطرفين، الفرق بين الأفضل الذي وقف موقف المتفرج، بل المتواطئ عندما كان السلاجقة في قلب المعركة، وبين طغتكين الذي لم يتوان في تقديم المساعدة للفاطميين، مع أنه هو في أمس الحاجة إليها.

على أية حال فإن بلدوين الأول [107]، حين علم باجتماع المسلمين في عسقلان، سار إلى الرملة [108] ليستطيع حماية يافا وبيت المقدس، فالتقى بالمسلمين بين يافا وعسقلان فاستظهر الصليبيون المسلمين، وقتلوا والي عسقلان، وأسروا بعض المقدمين، وانهزم عسكر مصر إلى عسقلان وعسكر دمشق إلى بصرى[109].

ثم إن أهالي طرابلس استغلوا فرصة غياب حاكمهم فخر الملك في بغداد، ليسلموا المدينة للأفضل، بعد أن تأكدوا بأنه ما من جهة تستطيع حمايتهم في هذه الفترة العصيبة، سوى الدولة الفاطمية، فطلبوا من الأفضل أن يرسل إليهم واليا يتولاهم ومعه الميرة، فاستجاب الأفضل لطلبهم، وعين شرف الدولة بن أبي الطيب حاكما عليها في أواخر عام (501هـ/1108م)[110] وبذلك خرجت طرابلس من قبضة بني عمار، وعادت إلى الفاطميين مرة أخرى.

غير أن الفاطميين كانوا أضعف من أن يستطيعوا الدفاع عنها، ولذلك فإنه وما إن عاودها الصليبيون بالحصار،شهر (ذي القعدة 502هـ/جوان1109م)[111] ، حتى عجز الفاطميون عن إيصال المساعدة المطلوبة لنجدتها في الوقت المناسب، والراجح أن إجراءات إرسال المؤن والعساكر والذخائر، كانت بطيئة، وربما كان للخلاف الذي نشب بين قادة الأسطول الفاطمي، الراسي في موانئ الدلتا، سبب في تأخره عن الإقلاع، وعندما أقلع صادفته رياح مضادة عرقلت سيره فوصل بعد فوات الأوان، بعد أن دك الصليبيون أسوار المدينة من البر، وقطعوا خطوط مواصلاتها البحرية، مما اضطر الحامية إلى الاستسلام، وسلمت المدينة للصليبيين الذين دخلوها في (11ذي الحجة/12جويلية)، وسمح للقائد الفاطمي بالخروج سالما مع جماعة من رجاله، وأضحى برتراند أميرا على طرابلس، فأكد تبعيته لمملكة بيت المقدس[112].

وحدد أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي ثلاث أسباب لسقوط طرابلس هي:

- تقاعس الفاطميين عن المسير إليها تلك المدة الطويلة.
- ضعف العسكر الذي أرسلوه مع أسطول مصر، ولو كان لعسكر الأسطول قوة، لدفع الفرنج من البحر عن البلد حسب الحال.
- عدم خروج الأفضل بنفسه على رأس العساكر المصرية، رغم قوته العسكرية[113].

وعن اهتمام الفاطميين لأمر بيروت عندما سقطت في أيدي الصليبيين، فإنه جاء واضحا منذ بداية الأمر، من خلال استماتة الحامية الفاطمية يوم الجمعة (21شوال 503هـ/13 أفريل 1110م) عندما هاجمها بلدوين بقواته المتحالفة مع القوات الجنوية، فاشتد القتال بين الطرفين واستبسلت الحامية، حتى قتل قائد الأسطول الفاطمي وخلق كثير من المسلمين [114]، ولم ير الإفرنج من ما تقدم وتأخر حربا أشد من هذه، إلى درجة أن القتال استمر بشكل متواصل ليل نهار حتى ملك الصليبيون المدينة بالسيف، وفشلت السفن الفاطمية التي قدمت من صور وصيدا في اختراق الطوق البحري الذي وضعه الصليبيون حول المدينة، وحاول عضد الدولة التنوخي الهرب مع جماعة من أعوانه، لكنه وقع في الأسر، وقتله الصليبيون، ونهبت بيروت وسبي من كان فيها، وبلغ عدد القتلى عشرين ألفا[115].

ثم خرجت من مصر نجدة فاطمية أخرى لمساعدة بيروت، قوامها ثلاث مائة فارس لكنها وقعت في كمين نصبه الصليبيون عند نهر الأردن، ولم تفلح هذه المساعدات ولا الحامية الفاطمية في صد الصليبين عن هذه المدينة، فوقعت أخير في أيديهم، وبذلك ضاعت مدينة أخرى من قبضة الفاطميين[116].

وعن ردة فعل الفاطميين من سقوط مدينة صور، فيمكننا القول بأن الأفضل قد أقدم على خطوة تحسب له في بداية الأمر، أي قبل سقوط المدينة بيد الصليبيين، وإن لم تكن هذه الردة بإرسال الجيوش إلا أنها كانت في صالح المدينة، وكان ذلك بسماحه لعز الدين أنوشتكين، وهو النائب عنها يومئذ، بأن يسلمها إلى ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق سنة(506هـ/ 1112م)، حتى يتولى حمايتها والذب عنها[117].

وسبب إقدام الأفضل على هذه العملية، هو الأزمة الاقتصادية التي كانت مصر تعاني منها في هذه الفترة، نتيجة تفشي الوباء بها تلك السنة والسنة التي قبلها، وهو ما عرقل الأفضل عن إرسال المؤن والذخائر[118]، ويبدو أن الأفضل رأى أن بقاء صور بيد المسلمين سواء الفاطميون أو غيرهم خير من سقوطها بيد الصليبيين.

وبهذه الطريقة نجح الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، في قطع الأمل على الصليبيين في الاستيلاء على صور، بعد تسليمها إلى ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق[119]، الذي وافق من جانبه على بقاء الدعوة فيها للفاطميين، ويبدو أن ظهير الدين طغتكين قد أبقى الدعوة بصور للفاطميين، بقصد الحصول من مصر على ما يحتاجه من المؤن والذخائر، التي كانت تصل إلى مدن الساحل الشامي.

وفيما يخص مدينة صيدا، فقد اهتم الفاطميون والسلاجقة، الذين تناوبوا على حكمها بتحصينها، حيث قام الوالي الفاطمي سعد الدولة الأفضلي بعمارة برج فيها سنة (491هـ/ 1098م)، كما حصنها أميرها مجد الدولة التنوخي في عام (494هـ/1101م)، مما

جعلها تقوى على الصمود في وجه الصليبيين لبعض الوقت، ولما قرر بلدوين السيطرة عليها، وجد الفاطميين أمامه، حيث أرسل الأفضل إلى المدينة خمسون قطعة بحرية، فاصطدمت في معركة بحرية، مع السفن الإيطالية المتحالفة مع بلدوين وهزمتها، وفقد بلدوين بذلك عنصرا مهما من المساندة، يضاف إلى ذلك، أن الأنباء أتته باقتراب العسكر الدمشقي الذي خرج لنجدة المدينة وتعداده خمسة عشر ألف مقاتل، فأدرك عندئذ أن العملية فاشلة، وآثر الانسحاب ومن معه إلى عكا[120].

ولما أدركوا أنهم لا طاقة لهم بمواجهة القوات الفاطمية والدمشقية، التي كانت في طريقها إليهم قرروا محاصرتها برا وبحرا، في ثالث ربيع الآخر، لقطع الإمدادات عنها، ومع ذلك قام أسطول فاطمي أبحر من ثغر صور بمهاجمة السفن النرويجية، وكاد أن يبيدها كلها، لولا أن وصل في الوقت المناسب أسطول بندقي يقوده دوق البندقية أورديلافوفاليري، فاشترك مع الأسطول النرويجي في حصار المدينة، ومهاجمتها من جهة البحر، وعجزت السفن الفاطمية أن تمد أهل صيدا بما يحتاجونه من سلاح وعتاد ومقاتلة ومؤن[121].

كان هذا آخر ما قام به الأفضل بن بدر الجمالي، في سبيل وقف الزحف الصليبي على بلاد الشام، ذلك أن العلاقات بينه وبين الخليفة الآمر الفاطمي قد توترت، وتعرض الأفضل لبعض الفتن الداخلية، تلك الفتن التي صرفته عن الاهتمام بأمر الصليبيين في بلاد الشام[122].

2.2.2.3. بعد مقتل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي

ولما كان الأفضل بن بدر الجمالي قد لجأ إلى محاولة التحالف مع حكام دمشق السنيين لوقف زحف الصليبيين، فقد أغضب ذلك الخليفة الآمر بالله وغلاة الشيعة بمصر، مما أدى إلى قيامهم بتدبير قتله بيد بعض الباطنية الذين كانوا"يكرهونه لأسباب تضييقه على إمامهم...وترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم، وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها"[123].

كان مقتل الأفضل بن بدر الجمالي سنة(515هـ/1122م)، بداية لتخلص الخليفة الآمر من القيود المفروضة عليه، وبدأ في تحقيق طموحه لا من أجل جهاد الصليبيين وإنما من أجل الحد من نفوذ الوزراء العظام، فاختار في وزارته بعد مقتل الأفضل، أبو عبد الله البطائحي[124] واستبد بالأمور عنه[125].

أما الخطوات التالية التي اتخذها الخليفة الآمر ووزيره البطائحي، فهي العمل على التخلص من سيف الدولة مسعود الوالي بمدينة صور، من قبل ظهير الدين طغتكين، ففي سنة (516هـ/1122م) وردت إلى مصر شكايات من أهل صور، ضد واليهم سيف الدولة مسعود فما كان من الخليفة الآمر ووزيره البطائحي إلا أن سيرا أسطولا بقيادة وحشي بن طلائع ومعه التعليمات بإلقاء القبض على الوالي بصور، وإرساله إلى مصر، ففعل ذلك[126].

وعلى ما يبدو فقد وصلت إلى آذان الخليفة الآمر، أنباء الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في بلاد الشام، فما كان منه إلا أن أمر بتجهيز حملة عسكرية في السنة التالية(517هـ/ 1123م) إلى عسقلان لحصار الصليبيين في يافا في الوقت الذي سيرا فيه

الأسطول بالبحر، ولكن هذه الحملة لم تستطع النيل من الصليبيين[127].

ثم إن الصليبيين لما علموا بخروج سيف الدولة مسعود، من صور إلى مصر واعتقاله هناك تحرك فيهم طمع الاستيلاء عليها وحدثوا أنفسهم بتملكها " وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها" [128]، في سنة (518هـ/1124م)، فلما أحس واليها أنه لا قبل له بمواجهة الخطر الصليبي، أرسل إلى الخليفة الفاطمي، يشير عليه بأن ترد ولاية صور إلى ظهير الدين طغتكين " فاقتضى الرأي أن ترد إلى ظهير الدين طغتكين ليتولى حمايتها والذب عنها " [129] ورضي ظهير الدين طغتكين أن ترد ولاية صور إليه، لكنه عهدها إلى قوم ليست لهم كفاية ففسد أمرها، وضايقها الصليبيون، عندها طلب طغتكين من الفاطميين المساعدة فأبوا ذلك[130] وربما كانوا منشغلين بالدفاع عن ثغر الإسكندرية الذي تعرض لحملة بحرية قام بها البنادقة بالإضافة إلى عدم مبالاة الخليفة الآمر بجهاد الصليبيين في بلاد الشام[131].

وعلى أية حال فقد أدى عدم إرسال الفاطميين نجدة للوالي بصور إلى مراسلته لظهير الدين طغتكين، يعرض عليه تسليم صور إلى الصليبيين بالأمان، فاستقر الرأي على ذلك، وأرسل ظهير الدين طغتكين إلى الصليبيين بشأن تسليم صور إليهم، وإعطاء الأمان لمن بها من المسلمين فوافق الصليبيون على ذلك، وفتحت صور أبوابها للصليبيين في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة (518هـ/1124م) وانتهى الأمر إلى خروج أهلها وتفرقهم في البلاد[132].

ومن هنا يمكننا القول بأن سقوط صور بيد الصليبيين، كان بسبب إهمال الخليفة الفاطمي الآمر، لأمر الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بالشام، بالإضافة إلى الانقسام الداخلي في صفوف الفاطميين ففي بداية سنة (519هـ/1125م) قبض الخليفة الآمر على وزيره المأمون البطائحي وقتله[133]، وسبب ذلك على ما يبدو هو الانتفاضة التي قام بها بعض المصريين، متهمين الآمر بالتهاون في أمر الجهاد، فوقع ظنه أن الوزير هو من دبر أمر هذه الانتفاضة وقتله.

كانت هذه المساعدات العسكرية التي قدمتها الدولة الفاطمية، لبعض مدن الشام، وكما تبين لنا فالدولة الفاطمية، لم تقدم المساعدات العسكرية لأي مدينة لم تكن تابعة لها كما هو الحال بالنسبة للسلاجقة، الذين لم يتوانوا لحظة في تقديم المساعدات سواء للمدن التابعة لهم أو حتى التابعة للفاطميين، وفي مقابل ذلك فقد كان الفاطميون يجتهدون في اختلاق الدسائس لكسب بعض المدن كما حدث مع مدينة صور آخرة مرة.

ولما لم تكن للمساعدات العسكرية أهداف ملموسة، فإن القيمين على الدولة الفاطمية راحوا يستعملون كل الطرق لوقف الزحف الصليبي، ومن هذه الطرق تقديم المساعدات الاقتصادية لأهالي المدن حتى يتقووا بها ويتقوا شر الحصار، فكيف كان ذلك؟

3.3. اقتصاديا

حتى المساعدات الاقتصادية التي كان الأفضل حريصا على إيصالها لأهل الشام كانت على مرحلتين، حيث كانت الأولى منها ترفق مع المساعدات العسكرية، عندما كانت الدولة الفاطمية تتمتع بنوع من الرخاء،

بالمقارنة مع بلاد الشام التي كانت تعاني من ويلات الحروب والحصار الصليبيين، أما الثانية فقد اضطر إليها الوزير الأفضل، بعد أن عجز عن تقديم المساعدات العسكرية لأهالي الشام.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المساعدات، وإن كانت على مرحلتين عندما كان الأفضل متحكما بزمام السلطة في مصر، فإنها كادت أن تكون منعدمة بعد مقتل الأفضل، لما عرف عن الآمر وتقاعسه عن الجهاد كما أشرنا إليه قبل قليل.

ومن المساعدات الاقتصادية التي قدمها الأفضل في هذه المرحلة، نذكر أنه عندما أرسل حملة بحرية بقيادة القاضي بن قادوس [134]، باتجاه بلاد الشام لكنها لم تأت بطائل، غير أن الأسطول الفاطمي كان يحمل معه الكثير من الغلات والمؤن التي أدت إلى رخص الأسعار، وانتعاش السكان بيافا وغيرها من مدن الساحل للصمود في وجه الصليبيين[135].

لما حاصر الصليبيون بيروت سنة (503هـ/1109م)، قام الأفضل بإرسال أسطول بحري يتألف من تسع عشر سفينة، ومعه المؤن، واصطدم بالأسطول الصليبي المحاصر للمدينة، وتغلب عليه، وأسر بعض قطعه، وتمكن من دخول الميناء، حيث وزعت تلك المؤن على السكان وهو ما أعطى السكان الأمل في الصمود والدفاع عن مدينتهم[136].

كما أن الأفضل بن بدر الجمالي، لم ينزعج لأمر تسليم مدينة صور إلى ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق سنة (506هـ/1112م)، نظرا لما كانت تمر به مصر من شدة اقتصادية نتيجة تفشي الوباء بها تلك السنة والسنة التي قبلها، ويكون قد رأى أن بقاءها بيد المسلمين سواء الفاطميين أو غيرهم خير من سقوطها بيد الصليبيين، ثم إن الأفضل جهز في سنة (507هـ/ 1113م) أسطولا إلى صور محملا بالمؤن والميرة والعتاد فرخصت بها الأسعار وتحسنت أحوال سكانها، "وزال طمع الإفرنج عنها "[137].

إن انتهاج الأفضل لسياسة الدعم الاقتصادي، لأصحاب البلاد الأصليين بغية تقويتهم للدفاع عن بلادهم، جاء بعد أن ضاعت منه كبريات المدن الشامية، فوقف بعدها موقف المدافع عما تبقى بيد ولاة الفاطميين بالشام، لكنه في المقابل شجع السكان كثيرا على مواصلة القتال والوقوف بصلابة في وجه الصليبيين.

غير أن هذه السياسة فشلت أيضا في وقف الزحف الصليبي، لعدم وجود تنسيق بين المدافعين أنفسهم، وتأخر الأسطول المصري في الوصول إلى بلاد الشام في بعض الأحيان نظرا لبعد المسافة بين مصر وبلاد الشام، مما أدى إلى انهيار قوة المدافعين، كما حصل لأهل طرابلس سنة (503هـ/1109م)، وهي المدينة التي سقطت بيد الصليبيين بعد صمودها للحصار أكثر من سبع سنين[138].

إذا كانت هذه هي المساعدات الاقتصادية التي بادر بها الأفضل، لأهالي الشام، وإن كانت مساعدات محتشمة، فإن من جاؤوا بعده لم يبادروا بمثلها ولا أقل منها، بل إنهم بادروا إلى الخيانة مرة أخرى، ولعل التباطؤ الذي أبداه الخليفة الآمر، عندما طلب منه تقديم المساعدات والمؤن لأهل صور عندما كانوا محاصرين من طرف الصليبيين، خير دليل على ما نقول، حيث يقول في هذا الشأن ابن الأثير: "وتواترت المكاتبات إلى مصر باستدعاء المؤن، فتمادت الأيام إلى أن أشرف أهلها

على الهلاك ولم يكن للأتابكطغتكين قدرة على دفع الفرنج، ويئس من مصر فراسل أهلها الفرنج وطلبوا الأمان على نفوسهم وأهاليهم وأموالهم، ومن أراد الخروج خرج ومن أراد الإقامة أقام"[139].

4. خاتمة

وختاما لهذا البحث يمكننا أن القول بأن الفاطميين، كان لهم دور كبير في الحروب الصليبية منذ بدايتها، إذا أخذنا بعين الاعتبار الكلام الذي قيل في شأنهم، بأنهم هم وراء مجيء الصليبيين إلى بلاد الشام، عندما أشار إلى ذلك بعض المؤرخين، وقالوا بأن الفاطميين حز في نفوسهم أن يروا القوة السلجوقية تتعاظم وتسيطر على بلاد الشام، فاختلقوا لها هذه الدسيسة للقضاء عليها، وإن كانت هذه التهمة محل شكوك واختلاف بين المؤرخين، فإن دورها السلبي الذي لعبته عند بداية الحرب، لا يختلف فيه اثنان، فكل المصادر تشير إلى خيانتهم للسلاجقة، وتحالفوا مع الصليبيين.

وإذا كان في هذا التصرف محامل كثيرة، قد حملت على الجانب الفاطمي، إلا أن ما قام به القيمون عليها فيما بعد، شفع لهم على الأقل عند عامتهم، وبقدر يسير عند بعض السنة، بعد أن نشطوا حركة الجهاد على الساحل الشامي، عندما كانت مدنهم تتعرض للحصار أو الغزو الصليبي، وليتهم فعلوا ذلك منذ البداية، أو أنهم أعانوا السلاجقة في التصدي للعدوان الصليبي على مدنهم، لكنهم بادروا إلى أخس من ذلك وأدنى، عندما استولوا على بيت المقدس من أيدي السلاجقة، وفعلوا الأمر ذاته مع مدينة صور.

الهوامش:

[1] البابا أوربان الثاني: ولد باسم أوتواللاجيري ، تولى البابوية من عام 1088م إلى غاية 29 جويلية 1099م، وهو أول من أعلن الحروب الصليبية على العالم الإسلامي من مجمع كليرمونت بفرنسا شهر نوفمبر 1088م ... أنظر المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي(بيروت)، 1982، ط2، ص 34.

[2] باركر أرنست: الحروب الصليبية، نقله إلى العربية، د- السيد الباز العريني، دار النهضة (بيروت)، ط2، د-س-ن، ص 23. Tood . Patrick Upton: sacredtopography western sermon perceptions of Jerusalem the holy sites and Jewsduring the crusade(1095-1193), proquest information andlerningcompany(usa), (2007), p 36 نسيم يوسف جوزيف: نفس المرجع السابق، ص 154.

[3] السيد محمود: تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية) (2002م)، ص 14. رينيهغروسّيه: موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، تر وتع: أحمد إبيش، دار الكتب الوطنية (أبو ظبي)، ط1(2014م)، ص 32.

[4] الشارتري فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس، تر: زياد جميل العسلي، دار الشروق (بيروت)، ط1(1990)، ص 35-36. مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه، د-حسن حبشي، دار الفكر العربي، 1958، ص 17-18. المطوي محمد العروسي: نفس المرجع السابق، ص 34. the clergy and other Walter :noncombatants on the first crusade porges A study based chiefly on the contemporary narrative and epistolary sources, Chicago, Illinois, (1942), p 04-05

[5] مجهول: المصدر السابق، ص ص 18-19-20. ويليام الصوري: الحروب الصليبية، تر وتع: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ط 1(1992م)، ج1، ص 108. جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص 156-157.Walter porges: op.cit, 15-16. Saladin and the fall :Stanley lane- Poole. M.a of the kingdom of Jerusalem, copyright, G. P. putnam's sons, enterd at stationers, hall(London), 1898.

[6] جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص 164-165. محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 424.

[7] محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية(1095-1291م)، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، 1995، ط1، ص19-20.

[8] توديبوبطرس: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، تق: جوزيف نسيم، دار المعرفة الجامعية(الإسكندرية)، ط 1 (1999)، ص75. Alan.v. Murray: from Clermont to Jerusalem, the crusades and crusadersocieties(1095-1500), turnhut; brepols, (1998), p 29-30. جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص 178

[9] الصوري ويليام: المصدر السابق، ج 1، ص 147. جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص 160-161.

[10] نيقية: تقع هذه المدينة على مسافة يسيرة من خليج نيقوميديا، وقد اشتهرت بمناعتها وحصانتها، نظرا لمتانة أسوارها والبحيرة الكائنة في جنوبها. أنظر جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص 228. ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس (1095-1120م)، تر: محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي (دمشق)، ط 1 (1437هـ/2016م).

[11] مؤرخ مجهول: المصدر السابق، ص 28-29. ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس (1095-1120م)، تر: محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي (دمشق)، (1437هـ/2016م)، ط1، ص 96.

[12] فوشيه الشارتري: المصدر السابق، ص 51-53.

[13] الحريري أحمد بن علي: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح وتع: سهيل زكار، دار الملاح، ط1(1401هـ/1981م)، ص 62-63. ألبرت فون آخن: نفس المصدر السابق، ص 107.

[14] علي بن أحمد الحريري: نفس المصدر السابق، ص 63.

[15] الحريري أحمد بن علي: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حقق نصه وعلق عليه وقدم له الدكتور، سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، الدولة غير موجودة، (1401هـ/1981م)، ص 62-63.

[16] توديبو بطرس: نفس المصدر السابق، ص 185.

[17] الصوري ويليام: نفس المصدر السابق، ج1، ص 344 .

[18] الحريري أحمد بن علي: نفس المصدر السابق، ص 63.

[19] عكا: اسم بلد على ساحل بلاد الشام من عمل الأردن. الحموي ياقوت: نفس المصدر السابق، ج04، ص 143.

[20] معرة النعمان: وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماه ... الحموي ياقوت: نفس المصدر السابق، ج 05، ص 156.

[21] أنطرطوس: حصن على البحر، ثغر لأهل حمص فيه مصحف عثمان بن عفان، وعليه سور من حجارة يمنع أهلها... النصيبي ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر (بيروت)، ط2، ب-د-ن، ج01، ص 177.

[22] عرقة: وهي بلدة شرق في طرابلس بينهما أربعة فراسخ وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل. الحموي ياقوت، نفس المصدر السابق، ج 04، ص 104.

[23] عسقلان: وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبري، ويقال لها عروس الشام. نفس المصدر السابق، ج04، ص 121.

[24] أرسوف: وهي مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا...، نفس المصدر السابق، ج01، ص 25.

[25] ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، (1421هـ/2000م)، ج4 ص 88.

[26] رنسيمان ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة (بيروت)، (1968)، ج2، ص 95.

[27] الصوري ويليام: نفس المصدر السابق، ج1، ص 493.

[28] الشارتري فوشيه: نفس المصدر السابق ، ص 124، ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص 43.

[29] اللاذقية: مدينة على ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة بينهما ستة فراسخ ، وهي مدينة عتيقة... الحموي ياقوت: نفس المصدر السابق، ج05، ص 05-06.

[30] بيروت: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق بينها وبين صيدا ثلاث فراسخ... الحموي ياقوت: نفس المصدر السابق، ج 01، ص 525.

[31] رنسيمان ستيفن: نفس المصدر السابق، ج2، ص 95.

[32] ابن القلانسي أبو يعلى حمزة: ذيل تاريخ دمشق، دار الآباء اليسوعيين، بيروت لبنان، 1980، ص 140-141.

[33] سالم عبد العزيز: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ب -د-ن، ص 84-85.

[34] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 473-474.

[35] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص 55.

[36] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 140.

[37] المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص162.

[38] جبيل: بلد في سواحل دمشق في الإقليم الرابع، وهو بلد مشهور في شرقي بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت... الحموي ياقوت: نفس المصدر السابق، ج 02، ص 109.

[39] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص72.

[40] طقوش محمد سهيل: نفس المرجع السابق، ص 452.

[41] ابن تغري بردي الأتابكي أبو المحاسن جمال الدين: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: تق وتع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى (1413هـ/1992م)،ج5، ص 186.

[42] فوشيه الشارتري: نفس المصدر السابق، ص 135.

[43] ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزية مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين... الحموي ياقوت، نفس المصدر السابق، ج 05، ص 39.

[44] طغتكين: هو طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان، الملك العزيز، سيف الإسلام، ظهير الدين، ابن الأجل نجم الدين والد الملوك، أبي الشكر الأيوبي الكردي...، المقريزي تقي الدين: المقفى الكبير، تح : محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1(1411هـ/1991م)، ج4، ص 14.

[45] عبد العزيز سالم: نفس المرجع السابق، ص 39.

[46] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 161-162.

[47] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج8، ص 560.

[48] الشارتري فوشيه: نفس المصدر السابق، ص 145.

[49] الصوري ويليام: نفس المصدر السابق، ج1، ص 532-533.

[50] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص176-177.

[51] المصدر نفسه.

[52] صيدا: وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ ... الحموي ياقوت، نفس المصدر السابق، ج03، ص 437.

[53] صور: وهي مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها، وهي حصينة جدا ركينة ولا سبيل إليها إلا بالخذلان...، الحموي ياقوت، ج 03 ص 433.

[54] الشارتري فوشيه: نفس المصدر السابق، ص 146.

[55] طقوش محمد سهيل: نفس المرجع السابق، ص 455.

[56] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 168.

[57] المصدر نفسه، ص 268-269. الشارتري فوشي: ص 145-146، كان شاهد عيان.

[58] يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا في الإقليم الثالث... الحموي ياقوت ، ج 05، ص 426.

[59] الشارتري فوشيه: نفس المصدر السابق، ص 147.

[60] طبرية: وهي الإقليم الثالث طولها من جهة المغرب 57درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها وهي من أعمال الأردن في طرف الغور... الحموي ياقوت: نفس المصدر السابق، ج 04، ص 17-18-19-20.

[61] رنسيمان ستيفن: نفس المصدر السابق، ج2، ص 148-149.

[62] طقوش محمد سهيل: نفس المرجع السابق، ص 456.

[63] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 181.

[64] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 162.

[65] طقوش محمد سهيل: نفس المرجع السابق، ص 457.

[66] الشارتري فوشي: نفس المصدر السابق، ص 147.

[67] الصوري ويليام: نفس المصدر السابق، ج2، ص 290-291.

[68] المصدر نفسه، ص 292.

[69] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص171.

[70] المصدر نفسه، ص 173-174.

[71] الحريري سيد علي: الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط3(1406هـ/1985م)، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة) ص 67.

[72] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص227-228.

[73] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 179.

[74] الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي، ط1(1407هـ/1987م)، ج35، ص 303.

[75] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ص228.

[76] الشارتري فوشيه: نفس المصدر السابق، ص 208.

[77] الحريري سيد علي: نفس المصدر السابق، ص 68.

[78] بانياس: هي مدينة عبرانية يونانية رومية، وبها أنهار سائحة قريبة المنبع، وبساتين كثيرة...، بينها وبين جبلة جزيرة صغيرة عند نهر غزير، يسمى النهر الأبتر...، شيخ الربوة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت (1408هـ/ 1988م)، ص 277.

[79] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 274.

[80] عمران محمود سعيد: نفس المرجع السابق، ص 54.

[81] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 181.

[82] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 212. ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 181.

[83] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 181.

[84] المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: تحقيق محمد عبد القادر عطا منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية بيروت(لبنان)، ج2، ص 217.

[85] سيد فؤاد أيمن: الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية (1413هـ/1992م)، ص 159.

[86] الأزدي علي بن ظافر بن الحسين: أخبار الدول المنقطعة، ج 1، الجزء المخصص للدولة العبيدية، تحقيق(د- عصام هزايمة وآخرون)، دار الكندي (أربد- الأردن) ط1(1999). ج1، ص230.

[87] طقوش محمد سهيل: نفس المرجع السابق، ص 428.

[88] الغامدي مسفر بن عريج: نفس المرجع السابق، ص 120.

[89] الذهبي شمس الدين: العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت)، سنة الطبع غير موجودة، ج2، ص 74.

[90] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج8، ص416.

[91] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 147-148.

[92] المصدر نفسه.

[93] ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القدر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية (بيروت)، سنة الطبع غير موجودة، ج17، ص 43.

[94] طقوش محمد سهيل: نفس المصدر السابق، ص429.

[95] المرجع نفسه.

[96] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص 08.

[97] ابن ميسر محمد بن علي بن يوسف بن جلب: أخبار مصر، تحقيق هنري ماسييه المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية، القاهرة، ب-س-ط،ج2.ص 38.

[98] ابن خلدون عبد الرحمن: نفس المصدر السابق، ج4، ص 86.

[99] عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، ط 2، الدولة وسنة الطبع غير موجودتين، ص66-67.

[100] العليمي مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس (عمان)، (1420هـ/1999م)، ج1، ص306.

[101] نهر الكلب: وهو بين بيروت وصيدا من سواحل عواصم الشام... ياقوت الحموي: نفس المصدر السابق، ج05، ص 323.

[102] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج09، ص 11.

[103] رنسيمان ستيفن: نفس المرجع السابق، ج1، ص 406.

[104] الصوري ويليام: نفس المصدر السابق، ج،1 ص394.

[105] طقوش محمد سهيل: نفس المرجع السابق، ص 431.

[106] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 348.، ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج09، ص 85.

[107] بلدوين: هو بلدوين أو بغدوين كما تذكره بعض المصادر، ملك بيت المقدس بعد قتل أخيه كندفري على عكا سنة (494هـ/1100م)، قدمها في خمس مائة فارس وراجل...، المقريزي: المقفى الكبير، ج2، ص 440.

[108] الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها وهي الإقليم الثالث وهي كورة من فلسطين. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج03، ص69.

[109] ابن ميسر: نفس المصدر السابق، ج2، ص41.

[110] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج09، ص 120-121.

[111] الشارتري فوشيه: نفس المصدر السابق، ص 145.

[112] الصوري ويليام: نفس المصدر السابق، ج1، ص 532-533.

[113] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 179-180.

[114] ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: البداية والنهاية، خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد و محمد بن عيادي بن عبد الحليم، دار البيان الحديثة، القاهرة (1423هـ/2003م)، ج12، ص87.

[115] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 268-269. الشارتري فوشيه: ص 145-146، كان شاهد عيان.

[116] المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص171.

[117] ابن أيبك الدواداري: نفس المصدر السابق، ج06، ص 476.

[118] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 171.

[119] السيد محمود: نفس المرجع السابق، ص111.

[120] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 269.

[121] المصدر نفسه.

[122] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج10، ص 590.

[123] ابن الصيرفي المصري أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان: الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق وتعليق، عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية بالقاهرة 1992.ص 61.

[124] أبو عبد الله البطائحي: هو السيد الأجل المأمون، تاج الخلافة عز الإسلام، فخر الأنام نظام الدين خالصة أمير المؤمنين، أبو عبد الله محمد بن الأجل نور الدولة أبي شجاع الآمري، تولى الوزارة بعد موت الأفضل، وخلع عليه في الثامن من ذي الحجة، من سنة خمس عشرة وخمس مائة. ابن الصيرفي: نفس المصدر السابق، ص 50.

[125] ابن ميسر: نفس المصدر السابق، ج2، ص73.

[126] ابن أيبك: نفس المصدر السابق، ج6، ص 49.

[127] الغامدي مسفر بن سليمان بن عريج: المرجع السابق، ص 131.

[128] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص 227.

[129] الأزدي ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص 87.

[130] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 211.

[131] الغامدي، نفس المرجع السابق، ص 132.

[132] ابن القلانسي: نفس المصدر السابق، ص 209.

[133] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص 234.

[134] القاضي ابن قادوس: هو أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن قادوس الدمياطي، كان كاتب الإنشاء بالديار المصرية وهو شيخ القاضي الفاضل، وكان الفاضل يسميه ذا البلاغتين. أنظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص 235.

[135] الغامدي مسفر بن عريج: نفس المرجع السابق، ص 125.

[136] ابن العبري غريغوريوسالملطي: مختصر الدول،دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة (1992م).ص132.

[137] ابن تغري بردي: نفس المصدر السابق، ج5، ص 171.

[138] ابن القلانسي: نفس المصدر ، ص 165.

[139] ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ج9، ص228.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1.5. المصادر العربية

01 ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد بن يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية (بيروت)، 1408هـ/1987م، ط1، ج8.

02 ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القدر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية (بيروت)، د-س-ن، ج17.

03 ابن الصيرفي المصري أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان: الإشارة إلى من نال الوزارة، تح وتع عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية (القاهرة)، 1992، د-ط.

04 ابن العبري غريغوريوسالملطي: مختصر الدول،دار المشرق، بيروت،(1992م)، ط3 .

05 ابن القلانسي أبو يعلى حمزة: ذيل تاريخ دمشق، دار الآباء اليسوعيين، بيروت ، 1980، د-ط.

06 ابن تغري بردي الأتابكي أبو المحاسن جمال الدين: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، 1413هـ/1992م، ط1، ج5.

07 ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر،1421هـ/2000م، د-ط، ج4.

08 ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: البداية والنهاية، خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد و محمد بن عيادي بن عبد الحليم، دار البيان الحديثة، مكتبة الصفا (القاهرة)، 1423هـ/2003م، د-ط، ج12.

09 ابن ميسر محمد بن علي بن يوسف بن جلب: أخبار مصر، تحقيق هنري ماسييه المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية (القاهرة)، ب-س-ط،ج2.

10 الأزدي علي بن ظافر بن الحسين: أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام هزايمة وآخرون، دار الكندي (الأردن) (1999)، ط1، ج1.

11 الحريري أحمد بن علي: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حقق نصه وعلق عليه وقدم له الدكتور، سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، د-ب-ن، 1401هـ/1981م، د-ط.

12 الحريري سيد علي: الأخبار السنية في الحروب الصليبية، 1406هـ/1985م، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة)، ط3.
13 الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر (بيروت)، د-س-ن.
14 الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان: دول الإسلام، حققه وعلق عليه، حسن إسماعيل مروة قراءة وقدم له محمود الأرناؤوط، دار صادر (بيروت)، 1999م، ط1، ج2.
15 ـــــ: تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي، 1407هـ/1987م، ط1، ج35.
16 ـــــ: العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت)، د-س-ن، ج2.
17 السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم (بيروت)، 1424هـ/2003م، ط1.
18 شيخ الربوة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، 1408هـ/ 1988م، د-ط.
19 العليمي مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس (عمان)، 1420هـ/1999م، ط1، ج1.
20 المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: تحقيق محمد عبد القادر عطا منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت)، د-ط، ج2.
21 ـــــ: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1411هـ/1991م، ط1، ج4.
22 النصيبي بن حوقل: صورة الأرض، دار صادر(بيروت)، ط2، ج01.

2.5. المصادر المعربة

1 - الشارتري فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس، تر: زياد جميل العسلي، دار الشروق (بيروت)، 1990، ط1.
2 - الصوري ويليام: الحروب الصليبية (1094-1184م)، تروتع، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ج1.
3 - توديبو بطرس: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، تقديم الأستاذ، جوزيف نسيم، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، 1999، د-ط.
4 - رنسيمان ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة (بيروت)، 1968، د-ط، ج2.
5 - فون آخن ألبرت: تاريخ الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس (1095-1120م)، تر: محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي (دمشق)، (1437هـ/2016م)، ط1.
6 - مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه، د-حسن حبشي، دار الفكر العربي، 1958، د-ط.

3.5. المراجع العربية

1 - ابن موسى تيسير: نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين محمود، الدار العربية للكتاب، د-ط.
2 - سالم عبد العزيز: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية)، د-ط.
3 - سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحروب الصليبية(1095-1291م)، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، 1995، ط1.
4 - السيد محمود: تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية)، 2002م، د-ط.
5 - طقوش محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس (بيروت)، 1428هـ/2007م، ط2.
6 - الغامدي مسفر بن سالم بن عريج: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، ديوان المطبوعات الحديثة، د-ط.
7 - قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، 1978، ط1.
8 - المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي(بيروت)، 1982، ط2.
9 - نسيم يوسف جوزيف: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية(بيروت)، 1981، ط3.

4.5. المراجع المعربة

1 - باركر أرنست: الحروب الصليبية، نقله إلى العربية، السيد الباز العريني، دار النهضة(بيروت)، ط2.

5.5. المراجع الأجنبية

1- Alan.v. Murray: from Clermont to Jerusalem, the crusades and crusader

societies(1095-1500), turnhut, brepols, (1998).

2- Tood Patrick Upton: sacred topography westernsermon perceptions of Jerusalem the holy sites and Jews during the crusade(1095-1193), proquest information andlerning company(usa), (2007).

3- Walter porges, the clergy and other noncombatants on the first crusade, A study based chiefly on the contemporary narrative and epistolary sources, Chicago, Illinois, (1942).